دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	أسلوب القسم في القرآن الكريم دراسة نحوية وصفية تطبيقية
المؤلف الرئيسي:	عثمان، الصادق علي وداعة
مؤلفين آخرين:	منير، عبدالجبار بلال(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2010
موقع:	أم درمان
الصفحات:	1 - 208
رقم MD:	564578
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة أم درمان الاسلامية
الكلية:	كلية اللغة العربية
الدولة:	السودان
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	القرآن الكريم ، ألفاظ القرآن ، النحو العربي ، القواعد النحوية ، المدارس النحوية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/564578

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الفصل الثاني
طرق التعبير عن القسم
في
القرآن الكريم

المبحث الأول

الأمور المُقْسَم عليها في القرآن الكريم

يمكن إجمال الأمور المُقْسَم عليها في القرآن الكريم في أصول أربعة تعتبر أسس الأيمان وهي :

الأول : تثبيت أساس التوحيد .

الثاني : تقرير أمر النبوة ، والإشادة بصدق الكتاب الحكيم .

الثالث : إثبات الحياة الأخرى وما يتصل بها من حساب ، فثواب أو عقاب .

الرابع : توضيح المهم من أحوال الإنسان وتصرفاته في هذه الحياة .

أما الأصل الاول: وهو تثبيت أساس التوحيد ، فيدخل تحت قوله تعالي :﴿**وَٱلصَّـٰٓفَّـٰتِ صَفًّا * فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا * فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا* إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ**﴾[1] ، قال الشيخ طه الراوي : (أقسم الله تعالي بنفوس الغزاة التي تقاتل في سبيل الله متحدة مع بعضها كالبنيان المرصوص ، وبهذا الاتحاد والتراص تزجر المبطلين وتهديهم إلي سبيل الرشد ، وأقسم علي أنه لا معبود بحق إلا اله واحد لا شريك له ، فهو قسم بالمتحدين علي ثبوت التوحيد وفيه إشارة إلي أنه كما أن القوة والنجاح وليدة الاتحاد ، فكذلك وحدانية الصانع وإنعدام الشريك هي السبب في إبداع هذا الكون وإحكام نظامه إذ لو كان مع الله إلهاً آخر لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم علي بعض ، وبذلك يختل نظام الكون وتندثر معالمه[2] ، وذهب أكثر المفسرين علي أن المراد ب(الصافات ، الزاجرات ، التاليات) : جماعة من الملائكة موصوفة بهذه الصفات ، وهو الأظهر والأرجح إذ تؤيده الآيات القرآنية ، فقد جاء و صف الملائكة بأنهم صافون في قوله تعالي : ﴿**وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ**﴾ [3] . لأن هذا القول هو المأثور عن جماعة من الصحابة والتابعين ، [4] فيكون المعني : وحق الملائكة الذين يصفون أنفسهم صفاً لعبادة الله تعالي وطاعته ، والذين يزجرون غيرهم عن ارتكاب المعاصي ، أو يزجرون السحاب إلي الجهات التي كلفهم الله بدفعه إليها ، والذين يتلون آيات الله المنزلة علي أنبيائه تقرباً إليه وطاعة له ، إنَّ ربَّكم أيُّها الناسُ لواحد لا شريك له في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، ولا في خلقه ، ومما جاء في الأصل الثاني : وهو تقرير أمر النبوة والإشادة بصدق الكتاب الحكيم ، قوله تعالي :﴿**يس * وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ**﴾[5] أقسم جل شأنه

---

(١) الصافات : الآيات (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) .

(٢) طه الراوي : مباحث إسلامية للشيخ طه الراوى ص١٣، جمع وتحقق حارث طه الراوي، ط/مطبعة اسعد ، بغداد ، ت/١٩٨٢م .

(٣) الصافات : الآيتان (١٦٥ ، ١٦٦) .

(٤) الآلوسي : روح المعاني ج٢٣/ص٦٤. وانظر د .محمد السيد الطنطاوي : التفسير الوسيط ج٢٢/ص ٨٢ ، ط/ مطبعة دار السعاده ، القاهره.

(٥) يس : الآيات (١،٢،٣).

بالقرآن الحكيم المعجز في نظمه والبديع في معانيه المتقن في تشريعه وأحكامه الذي بلغ أعلي طبقات البلاغة ، علي أنّ محمداً صلي الله عليه وسلم رسول من المرسلين ، والتأكيد بالقسم لشدة إنكارهم لرسالته ، ومن المعلوم أن القرآن معجزة من معجزات رسولنا صلي الله عليه وسلم تحدي به العرب أن يأتوا بحديث مثله أو بعشر سور من مثله مفتريات أو بسورة من مثله فلم يستطيعوا ، فأقسام الله بالقرآن علي صحة الرسالة إقسام بالمعجزة التي تؤيد تلك الرسالة والدليل الذي يثبتها ، كأنه قال : (إنك من المرسلين بدليل القرآن الحكيم فأخرج الدليل مخرج اليمين ، لأن المتكلم كما قال الفخر الرازي : (إذا شرع في أول كلامه يحلف ليعلم السامع أنه يريد أن يتكلم بكلام عظيم فيصغي إليه تمام الإصغاء ويقبل علي سماعة كل الإقبال) [١] ثم أن في القسم بالمعجزة تذكيراً بها وتبكيتاً للمعاند علي الإغضاء عنها ، ولا أدل علي هذا التوجيه من أن الله جل شأنه عودنا في كتابه العزيز تصريف الآيات والبراهين التي يسوقها دلائل علي أصول الأيمان ، فتارة يذكرها علي سبيل العظه والعبرة ، وتارة يذكرها كأنها خبر من الأخبار ، وأحياناً يذكرها في أسلوب القسم ، ومنه قوله تعالي:﴿ **وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ * إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ**﴾[٢] إذ نجد فيه تلاؤم جواب القسم:﴿ **إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ**﴾ مع هذا الوصف الذي وصفت به السماء (ذات الحبك) فالحبك : هي الطرائق ولما كان هذا الوصف مشعراً بالتشعب والاختلاف جاء الجواب ﴿**إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ**﴾ قولهم في الرسول صلى الله عليه وسلم ساحر و شاعر و مجنون ، وفى القرآن شعر و سحر وأساطير الأولين ، وعن الضحاك : قول الكفرة لا يكون مستوياً وإنما هو متناقض) [٣]، قال البيضاوي : (ولعل النكتة[٤] في هذا القسم تشبيه أقوالهم في اختلافها وتنافي أغراضهم بالطرائق للسموات في تباعدها واختلاف غاياتها) [٥] ومنه كذلك قوله تعالي : ﴿**وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ**﴾[٦] قال المفسرون : (أراد بالنجم : جنس النجوم أو أراد به الثريا علي ما إشتهر عند العرب ، وهوى النجم : غرب أو طلع ، يقال : هَوى هَوياً (بفتح الهاء) : إذا سقط وغرب ، وهُوى هُوياً (بضم الهاء) : إذا علا وصعد ، وما ضل : أي ما عدل عن الطريق المستقيم ، وما غوي : أي ما إعتقد باطلاً ، والغي : خلاف الرشد وهو الجهل مع اعتقاد فاسد[٧] أقسم –

---

(١) الفخر الرازي : التفسير الكبير، تفسير(سورة الذاريات) ج٢٧/ص١٩٤ .

(٢) الذاريات : الآيتان (٧ ، ٨) .

(٣) الزمخشري : الكشاف ج٤/ص١٤ .

(٤) يريد بيان مناسبة المُقْسَم به هنا ، وهو قوله :(والسماء ..... الآية) للمقسم عليه ، وهو قوله : (إنكم لفى قولٍ مختلف .... الآية) ، انظر الخفاجي : حاشية الشهاب : ج٨/ص٩٥، ط/دار صادر ، بيروت .

(٥) تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) : بهامش حاشية الشهاب ج٨/ص٩٥ .

(٦) النجم : الآيات (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) .

(٧) الشهاب الخفاجي : حاشية الشهاب(عناية القاضي وكفاية الراضي) وبهامشها تفسير البيضاوي ج٨/ص١٠٩ .

سبحانه- بالكوكب الذي ينبعث منه النور وتكون به الهداية في ظلمات البر والبحر علي كون محمد صلي الله عليه وسلم سالكاً جادة الرشد والهداية ونفي عنه ما كانت قريش تنسبه إليه من الضلال في ترك ما كانت عليه آباءهم وأئمة الكفر منهم ، وإن ما جاء به من الكتاب ليس من عنده وإنما هو وحي إلهي، وكانت العرب تضرب الأمثال بهداية النجم والاهتداء به ومما يؤثر عنهم في هذا قولهم : فلان أهدي من النجم ، ويقولون : لا يضل فلان حتى يضل النجم ، وإلي هذا أشار القرءان الكريم فقال : ﴿**وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ**﴾[1] والمناسبة بين المُقْسَم به والمُقْسَم عليه ظاهرة جلية ، فالمُقْسَم به : هو النجم الذي لا يضل السبيل وبه يهتدي السائرون ، والمُقْسَم عليه : كون محمد صلي الله عليه وسلم علي محجه الهداية وكون ما جاء به ليس إلا وحياً تلقاه من عالم الغيب والشهادة ، وإنما قال : ما ضل صاحبكم ولم يقل ما ضل محمد تأكيداً لإقامة الحجة عليهم لأنهم مصاحبون له طوال أربعين سنة قبل البعثة وهم أعلم الخلق به وبحاله وأقواله وأعماله وأنهم في هذه المدة الطويلة لم يشاهدوا منه إلا الصدق والأمانة والعقل الراجح والقول السديد ، فقولهم بعد بعثته صلي الله عليه وسلم أنه ساحرأو مجنون هو نوع من كذبهم البين وجهلهم المطبق[2] .

ومما جاء في الأصل الثالث : في إثبات الحياة الأخرى وما يتصل بها من حساب فثواب أو عقاب، قوله تعالي : ﴿**وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً * فَالْحَامِلَاتِ وِقْراً * فَالْجَارِيَاتِ يُسْراً * فَالْمُقْسَمَاتِ أَمْراً *إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ * وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ**﴾[3] ، أقسم الله (جلّ شأنه) بأمور أربعة : علي أن ما توعد به من البعث وأمر الساعة حق ، وعلي أن الدين هو الجزاء من ثواب أو عقاب واقع لا محالة ، فهو قسم علي البعث وعلي الجزاء .

قال الفخر الرازي : (الأمور الأربعة التي أقسم الله بها هنا جاز أن تكون أمور متباينة وجاز أن يكون أمر له اعتبارات أربع ، الأول: أن الذاريات : هي الرياح ، والحاملات : هي السحب ، والجاريات : هي السفن ، والمُقْسَمات : هي الملائكة الذين يقسمون الأرزاق ، والثاني وهو الأقرب : أن هذه الصفات الاربع للرياح فالذاريات : هي الرياح التي تنشئ السحب ، والحاملات : هي الرياح التي تحمل السحب التي هي بخار المياه ، والجاريات : هي الرياح التي تجري بالسحب بعد حملها ، والمُقْسَمات : هي الرياح التي تفرق الأمطار علي الأقطار....) [4] ، وعلي هذا تكون الفاء لبيان ترتيب هذه الصفات في الوجود ، فإن الذاريات تثير البخار فينعقد سحاباً فتحمله الرياح فتفرقه علي الأقطار ، والمُقْسَم عليه : صدق الموعود من البعث

---

(١) النحل : الآية (١٦) .

(٢) الشهاب الخفاجي : حاشية الشهاب ج٨/ص١٠٩ – ١١٠. وانظر الجمل : الفتوحات الآلهيه بتوضيح تفسير(الجلالين للدقائق الخفية) لسليمان بن عمر الشهير بـ(الجمل)، ط/ مطبعة عيسي البابى الحلبي وشركاه ج٤/ص٢٢٢ –٢٢٣ .

(٣) الذاريات : الآيات (١ ،٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ،٦) .

(٤) الفخر الرازي : التفسير الكبير ج٢٧/ص١٩٥ .

والنشور ووقوع الحساب فالثواب أو العقاب، فالمناسبة بين (المُقْسَم به) و(المُقْسَم عليه) واضحة فالقادر علي تأليف السحاب من ذرات البخار بواسطة الرياح الذاريه ثم إعادته بعد ذلك إلي سيرته الأولي قادر علي إعادة الإنسان وتأليف أجزائه المتفرقة ، وقد أقسم هنا بالرياح والسحاب علي البعث والجزاء وذكرهما في سورة الروم علي سبيل الآية والعبرة .

فقال تعالي : ﴿**ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ * فَٱنْظُر إِلَىٰ ءَاثَارِ رَحْمَةِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي ٱلأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[1] ، فالقادر علي إرسال الرياح وإثارة السحب وإحياء الأرض بعد موتها قادر علي إحياء الموتى[2].

ومما جاء في الأصل الرابع : وهو بيان أحوال الإنسان وتصرفاته المختلفة : قوله تعالي : ﴿**وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلأَمِينِ * لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلاَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ**﴾[3] .

والمُقْسَم عليه في هذه السورة يتكون من أمور ثلاثة :

١. دليل من أدلة القدرة الآليهه علي البعث والجزاء ، وهو قوله تعالي :﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**﴾.

٢. وعيد صارم شديد ، وهو قوله تعالي : ﴿**ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ**﴾ وأسفل سافلين : النار علي الصحيح أو هو سجين موضع الفجار ، كما أن عليين موضع الأبرار ورددناه : معناه ونرده فعبر بالماضى موضع المضارع المستقبل إيذاناً بأن الرد أسفل سافلين واقع لا محالة ، وتشبيهاً للمستقبل المحقق وقوعه بالماضي الواقع فعلاً .

٣. وعد حسن ، وهو قوله تعالي : ﴿**إِلاَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ**﴾ أي : مقطوع والقسم في هذه السورة أكثر أنصباباً علي الأمرين الأخيرين أي علي الوعد والوعيد .

قال المفسرون[4] أراد بالتين والزيتون : المكان الذي كثر شجرها فيه علي سبيل التجوز عبر بالحال وهو التين والزيتون وأراد المحل وهو الأرض المقدسة التي ظهر فيها عيسي عليه السلام .

وقالوا : إن هذا المعني هو الذي يتناسب مع طور سينين ومع البلد الأمين ، والتعبير بالحال عن المحل مألوف في الكلام العربي قال تعالي : ﴿**وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا**

---

(١) الروم : الآيات (٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠) .

(٢) الجمل : الفتوحات الآلهيه ج٤/ص٢٠١ .

(٣) التين : الآيات (١، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦) .

(٤) الآلوسي : روح المعاني ج٣٠/ص٢٢١ –٢٢٣ . وانظرا بن كثير : تفسير القرآن العظيم ج٤/ص٥٢٦ .

خَالِدُون﴾[1] ، وعلي هذا يكون الله قد أقسم علي خلق الإنسان وإثباته بأمكنة ثلاثة ، هي مظاهر أنبيائه ورسله أصحاب الشرائع العظام المعروفة ، أقسم بأرض بيت المقدس مظهر رسوله وكلمته وروحه عيسي بن مريم عليه السلام وفيها نزل الإنجيل عليه ، ثم أقسم بالجبل الذي كلم الله منه موسي تكليماً وناداه من جانب الطور الأيمن من البقعة المباركة من الشجرة التي فيها أن إذهب إلي فرعون أنه طغي ، ثم أقسم بالبلد الأمين مظهر خاتم الأنبياء والمرسلين ، فتدرج من التين والزيتون إلي طور سينين إلي بلد الله الأمين فختم بمواطن الرسالة الخاتمة أشرف الرسالات[2] أقسم بهذه الأمكنة الثلاثة التي هي مهبط الوحي والرسالة علي أن ما سيلاقيه الإنسان من ثواب أو عقاب في الاخرة إنما هو نتيجة إيمانه أو كفره وطغيانه بعد أن أرسل رسلاً مبشرين ومنذرين وكأنه جل شأنه يقول : (هانذا قد أرسلت إليكم الرسل فأناروا لكم الطريق وبينوا لكم الرشد من الغي فإن عصيتم فلكم أسفل سافلين وإن أطعتم فلكم أجرُ غير ممنون) [3].
ويمكننا القول : أن الله تعالي أقسم بالشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والبحر والعصر والسحاب والنفس والملائكة وغيرها من المخلوقات ، و كلها آيات دالة علي قدرته ووحدانيته وكماله وقد ذكرها في مواضع مختلفة من كتابه بغير أسلوب القسم .

المبحث الثاني
القسم الظاهر في القرآن الكريم

الأول :- إقسامه تعالى بذاته وصفاته : وقد ورد في (خمسه) مواطن من القرءان : -
الموطن الأول : قوله تعالي في سياق الكلام علي المنافقين:﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ**

(١) آل عمران : الآية (١٠٧) .
(٢) السامرائي : التعبير القرآني للدكتور فاضل صالح السامرائى /ص٢٩٩ -٣٠٩ .
(٣) ابن قيم الجوزية : التبيان في أقسام القرآن / ص٤٣ -٥٤ .

بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمواْ تَسْلِيماً﴾[1] .

الموطن الثاني : قوله تعالي :﴿**فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾**[2].

الموطن الثالث : قوله تعالي :﴿**فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالْشَّيَاطِينَ﴾**[3].

الموطن الربع : قوله تعالي :﴿**فَوَرَبِّ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾**[4].

الموطن الخامس : قوله تعالي :﴿**فَلاَ أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ * عَلَى أَن نُّبَدِلَ خَيْراً مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾**[5] وأما قوله تعالي في سورة يونس :﴿**وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾**[6] وقوله تعالي في سورة التغابن : ﴿**زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾**[7] ، فليس من باب إقسامه تعالي بذاته وإنما هو من باب تعليمه النبي صلي الله عليه وسلم كيفية الجواب ، وهو كذلك من باب أقسام النبي صلي الله عليه وسلم بربه علي الطريقة التي دل الله عليها وأرشده إليها.

الثاني :- إقسامه تعالي بمخلوقاته : وهو كثير في القرءان الكريم.

وإذا استقصينا القسم في القرآن وجدناه تعالي يقسم علي أصول الأيمان التي يجب علي الخلق معرفتها ، فتارة يقسم علي أن الله واحد ، وتارة يقسم علي البعث ، وتارة يقسم علي حال الإنسان. فالقسم علي أن الله واحد كقوله تعالي : ﴿**وَالصَّآفَّاتِ صَفًّا * فَالزَّاجِرَاتِ زَجْراً * فَالتَّالِيَاتِ ذِكْراً *إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾**[8] .

وعلي أن القرآن حق كقوله تعالي :﴿**فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾**[9] ، وعلي أن الرسول حق كقوله تعالي :﴿**يس* وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾**[10] وعلي الجزاء كقوله تعالي :﴿**وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ* فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ* وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ**

---

(١) النساء : الآية (٦٥) .

(٢) الحجر : الآيتان (٩٢ ، ٣٩) .

(٣) مريم : الآية (٦٨) .

(٤) الذاريات : الآية (٢٣) .

(٥) المعارج : الآيتان (٤٠ ، ٤١) .

(٦) يونس : آية (٥٣) .

(٧) التغابن : آية (٧) .

(٨) الصافات : الآيات (١، ٢، ٣ ، ٤) .

(٩) الواقعة : الآيات (٧٥، ٧٦، ٧٧) .

(١٠) يس : الآيات (١، ٢، ٣) .

*** وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ * وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴾**[1] ، وعلي حال الإنسان كقوله تعالي :**﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ * وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ* وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ * إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾**[2] ، وفي هذه الآيات وغيرها نجد ان المُقْسَم به من مخلوقات الله تعالي ، فبأقسامه أولاً وكونه يقسم بالمخلوقات ثانياً أثار الشبهات التالية[3]: –

١. الجري علي عادة الحلف عندنا غير محمود شرعاً ، فالذي يلجأ للقسم متهم في صدقه مفتقر إلي تأييد دعواه فلماذا أكثر الله من الأقسام في القرآن ؟
٢. نهي النبي صلي الله عليه وسلم عن الحلف بغير الله[4] ، ثم إن الحلف يقتضي تعظيم المحلوف به ، والعظمة لله وحده واجتناب الحلف مطلوب شرعاً ، فكيف يحلف الله بمخلوقاته (كالتين والزيتون).
٣. القسم القرآني كما قلنا وقع علي أمور مهمة جداً هي أصول الأيمان ، فما المقصود به ؟ إن كان المقصود تحقيق المحلوف عليه وإثباته في ذهن المؤمن فالمؤمن مصدق لا يحتاج إلي يمين ، وإن كان المقصود به تحقيقه وإثباته في ذهن الكافر فالكافر لا يصدق باليمين[5] ولا يقنعه إلا الدليل الساطع والبرهان القاطع ، تلك الشبهات تخطر كُلَّها أو بعضها في بال كثير من الناس . فإذا سأل أحدهم : لماذا يقسم اللهُ بمخلوقاته ؟ كان الجواب : إنَ الله تعالي أراد تشريف تلك المخلوقات والتنويه بها وإعلاء شأنها ، والرد علي من ذمها وهذا ظاهر الصحة في قوله تعالي :**﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾** [6] ، إذا قلنا إنه خطاب من الله لنبيه صلي الله عليه وسلم ، فقد كان النبي واحد من العرب ظهر فيهم وعليهم ، فلقي منهم إيذاءً واستهزاءً ولقي منهم عناداً وإصراراً وعتواً واستكباراً ، فمن المعقول أن يشرفه الله بأن يقسم بحياته ، أما أن يشرف الخيل العاديات ضبحاً بالقسم فبعيد وأبعد منه أن يشرف بالقسم كلا من الشمس والقمر والنجوم وقد بلغت عندهم من الشرف غايته حتى عبدها بعضهم ، وفي تشريفه إياها بالقسم بها أغراء لهم بالتمادى في عبادتها ، و يقول سبحانه :**﴿لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ﴾**[7] .

أساس تلك الشبهات : –

---

(١) الطور : الآيات (١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧،٨) .
(٢) الليل : الآيات(١، ٢، ٣، ٤) . وانظر ابن قيم الجوزية : التبيان في أقسام القرآن / ص٤ – ٨ .
(٣) عبد الحميد الفراهي : إمعان في أقسام القرآن / ص٤/ بتصرف .
(٤) الإمام مسلم : صحيح مسلم : كتاب الأيمان ج١١/ص١٠٤ –١٠٧ .
(٥) الزركشي : البرهان في علوم القرآن ج٣/ص٤١ .
(٦) الحجر : الآية(٧٢) .
(٧) فصلت : الآية (٣٧) .

لعل مما تسبب في تسرب هذه الشبهات إلي الأذهان ، ظنهم أن الغرض من القسم بها تقديس المُقْسَم به ، أو تشريفه وتعظيمه وساعد علي ذلك ، أن معظم ما أقسم الله به من مخلوقاته شريف في ذاته ، كالقرآن والشمس والقمر والنجوم ، ولكن القسم في اللغة قد يكون بالخسيس كذلك ، ليؤدي غرضاً مقصوداً وسنري في الأسطر القادمة ، أن في القسم بالمخلوقات نوع يباين القسم التقديسي ويباين القسم التشريفي ، وجيء به ليؤدي غرضاً جليلاً لا يؤديه غيره .

المبحث الثالث

القسم غير الصريح فى القرآن الكريم

وفي هذا المقام أتعرض لدراسة القسم غير الصريح فى القران الكريم من حيث وروده وأحكامه . تعريفه عند النحاة : هو ما لا يعلم بمجرد سماعه كون الناطق به مقسما بل لا بد من قرينة ، وهذا النوع من القسم عالجه النحويون والمعربون تحت مسميات مختلفة ، فهناك من جعل له عنواناً مثل : (هذا باب ما عمل بعضه في بعض وفيه معني القسم) ونجد هذه التسمية عند سيبويه والمبرد وابن سيده وصاحب إعراب القرءان المنسوب إلي الزجاج وضعه تحت عنوان : (هذا باب ما جاء في التنزيل في ألفاظ استعملت استعمال القسم وأجيبت بجوابه)، وابن مالك يسميه : (ألفاظ نابت عن القسم) ، وأغلب النحويين يستعملون عبارة (هذا اللفظ أجري مجري القسم) ، والأستاذ عباس حسن قال : (إنّهم يسمونها ألفاظ القسم غير الصريح) [1] .

ولعل أهم من حصر ألفاظ القسم غير الصريح ابن سيده حيث وضعها تحت عنوانين :

الأول :- هذا باب ما عمل بعضه في بعض وفيه معني القسم[2] والفاظه هى: (لعمرك الله ، أيم الله ، أيمن الله ، أيمن الكعبة ، أمانة الله ، عهد الله ، يعلم الله ، علم الله ، قسماً ، لحق ، وحرام الله – عند عقيل) .

والآخر: نوادر القسم وهى[3] : (جير ، عوض ، أجدك ، قعدك ، قعيدك ، عزم ، لا جرم) .

وأهم من حصر أغلبها نظماً ابن مالك في باب (القسم) من الكافية الشافية فقال :

وناب عن أُقْسِمُ منصوباً قَسَم * * * وشِبهُهُ كذا القضا بذا اتسم

واستعملوا كذلك اليقينا * * * والحق والنذر رَأوْا يمينا

ولك أو عليّ في الأيمان * * * قُلْ رافع الله أو الرحمن

وكثر استغناؤهم بـ(علما) * * * وشبهه و(خِفْتَ) جاء قسما

كذا عاهدت وواثقت وما * * * سواهما أو نال قرباً منهما[4]

وقال وهو بصدد القسم الاستعطافي :

---

(١) النحو الوافي : الأستاذ عباس حسن ج٢/ص٤٩٨ ط/دار المعارف بمصر .

(٢) المخصص : لابن سيده ، السفر٣ / ص١١٥ – ١١٦ ط/المكتب التجاري للطباعة والنشر / بيروت .

(٣) المرجع السابق : السفر ٣ / ص١١٧ – ١١٨ . بتصرف .

(٤) ابن مالك : الكافية الشافية (بشرح الناظم) ج٢/ص٨٥٠ – ٨٥١ .

بالطلب الباء اخصُصْ كذا نشدْتكا * * * اللهَ أو بِاللهِ أو عمرتكـا

وعمرك الله كذا والله قد * * * يقال كل طلبا في ذي اعتمد

وفيه قعـدك الله استحق * * * نصباً بعد قعيـدك اتفق[١]

وقال وهو يتحدث عن المخصوص بالقسم : –

وكـ(لعمر) أيُمن وأيمُ وأيْمُن * * * وإمَّ – أيضاً – وكذا مُ ومُنُ[٢]

وقال وهو بصدد ما ينوب عن القسم :

وجَيْرَ أو جَيْرِ ينوب عن القسم * * * كذا ينوب – أيضاً – لا جرم[٣]

وإذا نظرنا فيما ذكره كل من ابن سيده وابن مالك ، نجد ألفاظاً ذكرها ابن سيده ولم يذكرها ابن مالك مثل : عوض ، أجدك ، عزم ، وحرام الله ، وألفاظاً ذكرها ابن مالك ولم يذكرها ابن سيده ، مثل : القضاء ، واليقين ، والنذر ، وخفت ، ن كل ما يهمنا من هذه الألفاظ ما ورد منها في القرآن الكريم .

أولاً : الأسماء : –

عمرك : ورد القسم به في قوله تعالي :﴿**لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُون**﴾[٤] ، وقد فسره الأخفش بعيشك[٥] ، وفي شرح اللمع[٦] قيل في هذه الآية : (القسم بالعَمْر الذي هو العُمْر وقيل : المراد بالعمر هنا العبادة والتعالي ﴿**وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ**﴾[٧] أي المعبود فيه أو المتعبد فيه) وقال ابن برهان : [٨] وقد جعل القرآن إقامة العبادة في المساجد عمارة لها وجعل المنع من ذلك إخراباً لها فقال :﴿**مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ**﴾[٩].

وقال تعالى : ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَآ**﴾[١٠] ، وذكر يعقوب بن إسحاق السكيت عن أبي عبدالله محمد بن زياد والإعرابي أنه سمع إعرابياً يقول : وقد سئل أين يمضي ؟

---

(١) ابن مالك : الكافية الشافية بشرح الناظم ،ج٢/ص٨٦٧ .

(٢) المرجع السابق: ج٢/ص٨٧٧.

(٣) المصدر نفسه: ج٢ /ص٨٨١ .

(٤) الحجر : الآية(٧٢) .

(٥) الأخفش : معاني القرآن للأخفش الأوسط أو الحسن سعيد بن سعده ، تحقيق فائز فارس ج٢/ص٣٨٠ ط/المحقق، الكويت ت/١٩٨١م.

(٦) ج٢/ص٥٧٦ .

(٧) الطور : الآية (٣) .

(٨) العكبري : شرح اللمع ج٢/ص٥٧١ .

(٩) التوبة : الآية(١٧) .

(١٠) البقرة : الآية(١١٣).

قال : أمضي أعمر الله أي أعبد الله ، فإن جعلت ﴿**وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ**﴾ من هذا ساغ أيضاً) [١] وعند ابن يعيش (العُمُر البقاء والحياة) [٢] ، وفي البحر [٣] : (قد أقسم – سبحانه– بحياته تكريماً له ، والعمر بفتح العين وضمها يعنى البقاء) ونقل عن ابن الهيثم لعمرك : لدينك الذي يعمر ، وعن ابن الإعرابي : عمرت ربي عبدته ، وفلان عامر لربه أي عابد له ، وتركت فلان يعمر ربه أي يعبده ، فعلي هذا لعمرك: لعبادتك ، وفي الصحاح : لعمر الله وعمر الله :أحلف ببقاء الله ودوامه[٤] ونسب ابن منظور لابن الهيثم إنكار النحويين لما روي عن ابن عباس من أن (لعمرك) لحياتك وقولهم لدينك الذي يعمر [٥] وبهذا يكون لـ(عمرك) عدة معانٍ : هي البقاء والعيش والحياة وهي مترادفات العبادة وتعمير مساجد الله والدين وهي متقاربة ، ولعل أقرب معني وأرجحه (لحياتك) وهو المجمع عليه ، وهذا لا يجعلنا نطرح بقية المعاني طرحاً كلياً لأنها مستساغة وهناك ما يؤيدها ، وقد رد أبو حيان ما منعه أصحاب المعاني من إضافة العمر إلي الله ، لأنه لا يقال لله تعالي (عمر) وإنما هو أزلي و(العمر)لا يقال إلا فيما له انقطاع ، رد ذلك القول بأن (العمر) ليس كذلك والعمر البقاء ، مفسراً إياه بهذا المعني في قول القحيف العقيلي :

إذا رَضيتْ عليَّ بنو قُشَيْرٍ * * * لعَمْرُ الله أعجبني رضاها[٦]

وقول الأعشى :

ولَعَمرُ مَنْ جعلَ الشُّهور علامةً * * * فَيَبينُ مِنها نَقْصُها وكَمَالُها[٧]

قد أضيف العمر إلي الله في البيت الأول ، وإلي الاسم الموصول الدال عليه في الثاني ، ونقل كراهة النخعي أن يقال : لعمري ، لأنه حلف بحياة المُقْسَم به[٨] والذي يبدو أن الكراهة شرعية وليست لغوية. بالإضافة إلي تفسير أبي حيان للعمر بالبقاء في البيتين السابقين، يمكن تفسيره بمعني العبادة أو الدين حتى لا نقع فيما منعه أصحاب المعاني ، وفي لغاته ذكر بن يعيش ثلاثة[٩] : (يقال عَمْر بفتح العين وإسكان الميم ، وعُمْر بضم العين وإسكان الميم ، وعُمُر بضمهما، فإذا جئت إلي القسم لا تستعمل فيه إلا

---

(١) العكبري : شرح اللمع ج٢/ص٥٧٦ .

(٢) ابن يعيش : شرح المفصل ج٩/ص٩٦ .

(٣) ج٥/ص٤٦٢ ، بتصرف .

(٤) مادة (عمر) .

(٥) ابن منظور : لسان العرب ، مادة (عمر) .

(٦) أبو حيان : البحر ج٥/ص٢٦٢، وقد استشهد به ابن جني في الخصائص ج٢/ص١١٣ علي مجيء (علي) في موضع (من)وكذلك انظر شرح التصريح علي التوضيح : للشيخ خالد عبد الله الأزهري ج٢/ص١٤ ط/المطبعة التجارية الكبري توزيع دار الفكر ، بيروت.

(٧) المرجع السابق : ج٥/ص٤٦٢ .

(٨) المرجع السابق: نفس الصفحه .

(٩) ابن يعيش: شرح المفصل ج٩/ص٩٦ ، وانظر: لسان العرب مادة (عمر) .

المفتوحة العين ، لأنها أخف اللغات الثلاثة ولأن القسم كثير اختاروا له الأخف) ، أما من ناحية الإعراب فسياتى ذلك عند الحديث عن الجملة الاسمية ، وهو يتلخص في رفعها علي الابتداء وحذف الخبر وجوباً إذا اقترنت باللام ، وعند تعريتها من اللام ترفع علي الابتداء أو علي الخبر لعدم تعيين المحذوف وتنصب علي نزع الخافض، وفي لسان العرب قال أبو عبيد : سألت الفراء لما ارتفع لعمرك ؟ فقال : علي إضمار قسم ثانٍ ، كأنه قال : وعمرك فلعمرك عظيم وكذلك لحياتك مثله) [١] .

الميثاق – الموثق :

يكونان بمعني العهد[٢] وقد ورد في أسلوب قسم في القرآن الكريم فى قوله تعالي :﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ ٱللَّهَ**﴾ [٣] فقد ذكر العكبري خمسة أوجه في إعراب (لا تعبدون) وزاد عليها أبو حيان ثلاثة[٤] واحد هذه الوجوه وأهمها : أنه جواب قسم دل عليه المعني وهو قوله: ﴿**أَخَذْنَا مِيثَاقَ**﴾ لأن معناه أحلفناهم أو قلنا لهم بالله لا تعبدون ، وقال تعالي : ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ**﴾[٥] وقوله :﴿**وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَاقَ ٱلنَّبِيِّين لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّه**﴾[٦] فقد حدث جدل كبير حول هذه الآية والذي أريد أن أثبته في هذا المقام من الأقوال قول الزمخشري : (واللام في لما أتيناكم (لام) التوطئه لأن أخذ الميثاق في معني الاستحلاف وفي لتؤمنن اللام جواب القسم) [٧].

وما نسبه أبو حيان إلي الكسائي: (من أنَّ ما شرطية واللام موطئه لمجيء ما بعدها جواباً للقسم وهو أخذ الميثاق ، وجواب الشرط محذوف لدلاله جواب القسم عليه) ، ونسبه كذلك الى سيبويه والخليل والمازني والزجاج وأبي علي والزمخشري وابن عطية[٨] ،وقال تعالي : ﴿**وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَاقَ ٱلَّذِينَ أُتُواْ ٱلْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ**﴾[٩] وفي هذه الآية لم يختلف في إجراء أخذ الميثاق مجري القسم لأن لتبيننه جوابه ، والصحيح كما قال أبو حيان: عطف ما بعده عليه لا جعله حالاً[١٠] تلك هي الايات التي

---

(١) مادة (عمر) .

(٢) ابن منظور: لسان العرب مادة (عهد) ، وانظر: مختار الصحاح مادة (وثق) .

(٣) البقرة : الآية/ ٨٢ (لا تعبدون) قري بالياء وبالتاء. وقرأ ابن مسعود (لا يعبدوا) علي النهي .انظر البحر: ج١/ص٢٨٢ .

(٤) العكبري : إملاء ما من به الرحمن ج١/ص٤٧ .وانظرالبحر: ج١ص٢٨٣

(٥) البقرة : الآية (٨٤) .

(٦) آل عمران: الآية (٨١) .

(٧) الزمخشري : الكشاف ج٢/ص٤٤١ .

(٨) أبو حيان : البحر ج٢/ص٥٠٩ – ٥١١ .

(٩) آل عمران : الآية (١٨٧) .

(١٠) ابوحيان: البحر ج٣/ص١٣٦ وقري (لتبيننه) بالياء والتاء .

أجري فيها (أخذ الميثاق) مجري القسم وقد ورد في غير هذه المواضع علي غير معني القسم مثل ما جاء في سورة النساء قوله تعالى:﴿ **وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لاَ تَعْدُواْ فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا**﴾[1]، فلم يكن له جواب .

– **أما الموثق:** فقد ورد في أسلوب قسم في قوله تعالي:﴿**قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَىَّ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلاَّ أَن يُحَاطَ بِكُم**﴾[2] قال الزمخشري : (وإنما جعل الحلف بالله موثقاً منه لأن الحلف به مما تؤكد به العهود وتشدد وقد أذن الله في ذلك) [3] ففي الآية لم يرد يعقوب عليه السلام إرسال ابنه مع إخوته ، وعندما ألحوا عليه طلب منهم موثقاً أي طلب أن يحلفوا له علي إعادته له ، فقد أجري (موثق) مجري القسم عليه وأجيب بجوابه ، وطبقاً لما ورد في القرآن فإن استعمال الميثاق في القسم أكثر من استعمال الموثق وأقل منهما استعمال (واثق) والميثاق والموثق : العهد كما سبق والعهود تؤكد بالقسم ، ولذلك قد ينوب الميثاق عن القسم فيجري مجراه ، لأن الصلة بينهما وثيقة ، مثلما ينوب العهد عن القسم ويجري مجراه .

الحق : –

من الألفاظ التي تنوب عن فعل القسم ومن ذلك قوله تعالي :﴿**قَالَ فَالْحَقُ وَالْحَقَّ أَقُولُ * لأَمْلأَنَّ**﴾[4] وقد سبقت هذه الآية في موضعين : الأول: حذف حرف القسم ، والثاني: الجملة القسمية الاسمية ، وعلي ما جاء في الموضع الأول فهذا اللفظ ليس نائباً عن فعل القسم ولا جارياً مجراه بل هو مقسم به متعلق بفعل القسم المنوي ، أما علي الموضع الثاني فقد أجري مجري القسم.

---

(١) النساء : الآية (١٥٤)

(٢) يوسف : الآية (٦٦) .

(٣) الزمخشري : الكشاف ج٢/ص٣٣٢.

(٤) ص : الآيتان(٨٤ – ٨٥) ، من شواهد ابن مالك في شرح الكافية الشافية علي نيابة الحق عن فعل القسم ، ج٢/ص٨٥٤ –٨٥٥ .

لا جرم :-

ورد هذا اللفظ في القرآن في قوله تعالى : ﴿**لاَ جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ**﴾[١] وقد وردت (لا جرم) في القرآن الكريم في(خمسه) مواضع وهي : سوره هود الآية (٢٢) قوله تعالى:﴿**لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ**﴾ ، وفى سورة النحل الآية (٢٣) قوله :﴿**لاَ جَرَمَ أَنَّ اللهَّ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ**﴾ ، والآية (٦٢) قوله:﴿**وَيَجْعَلُونَ للهِّ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لاَ جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ**﴾ ، والآية (١٠٩) قوله:﴿ **لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرونَ**﴾ ، وفى سورةغافر الآية (٤٣) قوله:﴿**لاَ جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلاَ فِي الأَخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللهِّ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ**﴾ بفتح همزة (أنّ) وبكسرها علي قراءة الحسن وعيسي بن عمر[٢] ، وهي لا تحمل في القرءان علي القسم إلا علي قراءة كسر همزة (إنَّ) ، فتكون (إنّ) وما بعدها جواب قسم أغنت عنه لا جرم وهي في هذه الحالة تكون بعني (حقاً) كما قال الفراء ، وأري أنه يمكن تفسيرها بـ(لابد) و(لا محالة) لانّ ما فيها من التحتيم والتأكيد ما يرفعها إلي درجة القسم فتنوب (لا جرم) بهذا المعني كذلك مناب القسم .

ثانياً الأفعال :-

علم :-

ورد قسمياً في قوله تعالي :﴿ **وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَاهُ مَالَهُ فِي ٱلأَخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ**﴾[٣] وقوله : ﴿**وَلَقَدْ عَلِمْتِ الجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ**﴾[٤] فقد تجري (علم) مجري القسم وفي هذه الحال لا تنصب مفعولاً، قال سيبويه : (وإعرابه كإعراب يذهب زيدُ ، وذهب زيد ، والمعني : والله لأفعلن [٥] واستشهد علي قسميتها بالآيتين السابقتين وبقول لبيد :

ولقد عَلِمتُ لتَأتِينَّ منِيتي * * * إنَّ المنايا لا تَطيشُ سِهامها [٦]

لقد أجري (علم) مجري القسم وأجابه بجوابه : (لتأتين) وكذلك استدل صاحب إعراب القرآن المنسوب إلي الزجاج بالآية الأولي علي إجراء(علم) مجري القسم ، بما نقله أبو حيان من قول أبي البقاء :(إن اللام

---

(١) النحل : الآية (٦٢) .

(٢) ابوحيان: البحر ٥/ص٥٠٦ .

(٣) البقرة: الآية (١٠٢) .

(٤) الصافات : الآية(١٥٨) .

(٥) سيبويه : الكتاب ج٣/ص٢٠٤

(٦) المرجع السابق : ج٣/ ص١١٠.

في لمن هي التي يوطأ بها القسم مثل ﴿ **لَئِن لَّمْ يَنتَهِ**﴾[1] و(من) في موضع رفع بالابتداء وهي شرط ، وجواب القسم ﴿**مَالَهُ فِي ٱلآخِرَةِ مِنْ خَلاَق**﴾[2] ولكن إذا اعتبرنا اللام في (لمن) للابتداء فهل يصح الوقف علي (علموا) ؟ في إعراب القرآن المنسوب إلي الزجاج لا يصح واللام في (لمن) جواب[3] .

ويمكن تلخيص القول في الآتي : -

- اجراء علم مجرى القسم، وتكون (من) موصولة (واللام) للابتداء .
- اجراء علم مجري القسم ، وتكون(من) موصولة و(اللام) جواب قسم .
- اجراء علم مجري القسم ، وتكون (من) شرطية و(اللام) موطئه للقسم ، والجواب﴿**مَالَهُ فِي ٱلآخِرَةِ مِنْ خَلاَق**﴾.
- عدم إجراء علم مجري القسم ، كما يفهم من كلام العكبري (فاللام) عنده موطئه للقسم و(من) في موضع رفع بالابتداء وهي شرط وجواب القسم ﴿**مَالَهُ فِي ٱلآخِرَةِ مِنْ خَلاَق**﴾ ، وذكر قولاً بأنها بمعني (الذي) وقال : (وعلي كلا الوجهين موضع الجملة نصب بعملوا ولا يعمل عملوا في لفظ (من) لأن الشرط ولام الابتداء لهما صدر الكلام) [4] .

والخلاف بين الوجهين الأولين سيحسم في الفصل القادم عند الحديث عن جواب القسم لأنه يدور حول الفرق بين (لام) الابتداء و(لام) جواب القسم أي :أهما وأحد أم اثنان ؟ وفي تفسير هذه الآية قال ابن كثير : (أي ولقد علم اليهود الذين استبدلوا السحر عن متابعة الرسول صلي الله عليه وسلم ومن فعل فعلهم ذلك أنه ماله في الآخرة من خلاق) [5] وبالتالي ، فلا مانع من أن تبقي (علم) علي معناها الأصلي ، وأن تتضمن معني القسم لتأكيد المعني وتثبيته وتكون اللام جواب قسم، ومن مبتدأ، وماله من خلاق خبر. وقال تعالي :﴿**وَٱللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ**﴾[6] ، وقال :﴿**وَٱللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾[7] ، وقال :﴿**وَقَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ**﴾[8] فالظاهر أن (يعلم) ضمنت معني القسم لما فيها من اليقين الذي يرقى في التأكيد إلي درجة القسم ولكسر همزة (إن) بعدها ، وقد ورد هذا اللفظ كثيراً في القرآن الكريم علي معناه

---

(١) الأحزاب : الآية(٦٠) .

(٢) أبو حيان : البحر ج١/ص٣٣٤ .

(٣) ج٣/ ص٦٩٠.

(٤) العكبري : إملاء ما من به الرحمن ج١/ص٥٦ .

(٥) ابن كثير : تفسير القران العظيم لعماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير ج١/ص٢٥١ ط/دار الأندلس للطباعة والنشر .

(٦) المنافقون : الآية (١) .

(٧) التوبة : الآية (٤٢) .

(٨) يس : الآية (١٦) .

الأصلي كما في الآية السابعه من سورة آل عمران قوله: ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ**﴾[1]

شهد: –

ورد في أسلوب قسم في قوله تعالي :﴿ **وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ** ﴾[2] ، وقوله :﴿ **إِذَا جَآءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ**﴾ [3]، وقوله : ﴿ **وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ** ﴾[4] ، وقوله :(**وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ** ﴾[5] ، وقوله : ﴿ **وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ**﴾[6] ، وقوله :﴿ **وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ**﴾[7] فقد استدل سيبويه [8] بالآية الأولي والرابعة علي إجراء (يشهد) مجري القسم ، وقال : (وتكون أشهد بمنزلة(والله) ، وذكر قول الخليل : (أشهد بأنك لذاهب غير جائز، من قبل أن حروف الجر لا تعلق) ، وحول الآية الثانية ، جوز الزمخشري أن يراد به يمين من أيمانهم الكاذبة لأن (الشهادة) تجري مجري الحلف فيما يراد به من التوكيد ، قال : (وبه استشهد أبو حنيفة علي أن (الشهادة) يمين[9] وفي الآية نفسها قال أبو حيان : (يشهد) يجري مجري اليمين ولذلك يلقي بما يتلقي به القسم ، وكذلك فعل اليقين والعلم يجريان مجري القسم) [10] وكذلك بقية الآيات حيث كسرت همزة (إن) ولحقتها اللام ، وقد ذكرت الآيتين السادسة والثامنة من سورة النور في هذا الموضع ، و كان يجب وضعهما في ركن الأسماء الجارية مجري القسم ، لأني رأيت أن ما يتعلق بالشهادة يجب أن لا يفصل عن بعضها ، وعندما وجدت الأفعال أكثر وضعتها في هذا الموضع ، والذي أريد أن أوكده أن الشهادة هي الخبر القاطع والمراد باليمين القطع ، فهما متقاربان وقد يترادفان ، ولفظ الشهادة ومشتقاته ورد كثيراً في القرآن الكريم علي غير القسم ، مثل ما جاء في سورة البقرة قوله تعالى:

---

(١) الحشر : الآية (١١) .

(٢) المنافقون : الآية (١) .

(٣) المنافقون : الآية (١) .

(٤) المنافقون : الآية ( ) .

(٥) التوبة : الآية (١٠٧) .

(٦) النور : الآية (٦).

(٧) النور : الآية (٨).

(٨) سيبويه : الكتاب ج٣/ص١٤٧.

(٩) الزمخشري : الكشاف ج٤/ص١٠٨ .

(١٠) أبو حيان : البحر ج٨/ص٢٧١ .

﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾[1]

عاهد : –

ورد هذا الفعل في أسلوب قسم في قوله تعالي :﴿ **وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ**﴾[2] وقوله :﴿**وَلَقَدْ كَانُواْ عَاهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لاَ يُوَلُّونَ ٱلأَدْبَارَ**﴾[3] فحول الآية الأولي نقل الجمل عن شيخه وعن الكرخي : أن (عاهد) فيها معني القسم وأن المذكور جوابه ، وجواب الشرط [4] واستشهد ابن مالك لإجراء (عاهدت) مجري اليمين بقول الشاعر :

أرَى مُحْرِزاً عَاهدتُه ليُوَافِقَنْ * * * فَكَانَ كَمَن أغْرَيْتَهُ بِخِلَافِ[5]

فاجري (عاهدته) مجري القسم وأجيب بجوابه (ليوافقن)

ولم يرد (العهد) قسمياً في القرآن ، أما (عاهد) فقد أجري مجري القسم في الآيتين السابقتين فقط وقد جاء علي غير القسم في القرآن كثيراً بمعني الأمر والحلف والأمانة وغيرها .

وعد:–

استعمل هذا الفعل في أسلوب قسم في قوله تعالي : ﴿ **وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ**﴾[6] فقيل : (ليستخلفنهم) جواب قسم محذوف ، وقيل : جواب (وعد) لأنه أجري مجري القسم وهو ما ذكره أبو حيان في قوله : (واللام في ليستخلفنهم جواب قسم محذوف أي : وأقسم ليستخلفنهم ، أو أجري (وعدالله) لتحققه مجري القسم فأجيب بما يجاب به القسم[7] وهو الأرجح، لأن إجراء (وعد) مجري القسم أبلغ من تقدير القسم محذوفاً وقد جاء هذا اللفظ كثيراً في القرآن الكريم وهو علي معناه الحقيقي ، ولم يرد قسمياً إلا في هذه الآية حيث ضمن معني القسم ، ومن أمثلته في غير القسم ما جاء في الآية العاشرة من سورة الحديد في قوله تعالى :﴿ **وَكُلاًّ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَى وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾.

كتب :–

---

(١) الآية (١٨٥).

(٢) التوبة : الآية (٧٥) .

(٣) الأحزاب : الآية (١٥) .

(٤) الجمل : الفتوحات الآلهيه ج٢/ص٣٠١ .

(٥) ابن مالك : شرح الكافية الشافية ج٢/ص٨٥٨. لم أعثر علي قائل البيت .

(٦) النور : الآية (٥٥) .

(٧) أبو حيان :البحر ج٢/ص٤٦٩ .وأنظر الكشاف: ج٣/ص٧٤.

جاء قسمياً في قوله تعالي : ﴿ **كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ**﴾[1] ، وقوله :﴿ **كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ**﴾[2] فقد ورد(كتب) بمعني القسم في الآيتين وفي موضع الكتاب قال الزمخشري : (في اللوح المحفوظ) [3] وكذلك في قوله تعالي : ﴿**كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ**﴾[4] علي قراءة كسر همزة إن[5] علي رأي صاحب إعراب القرآن المنسوب إلي الزجاج في قوله : (كتب علي نفسه الرحمة وأوجب حتى بلغ الأمر أنه أقسم (انّه من عمل)، فكسر (إنَّ) هو لمكان القسم لا كما ذهب إليه احمد بن موسي وفارس الصناعة من أن قوله : (إنه من عمل) فيمن كسر (إنّ) تفسير للرحمة) [6] واستبعد أن تكون (لأغلبن) معمولاً لـ(كتب)، وأقول : أنه إذا اجري (كتب) مجري القسم فلا يصح أن يكون (لأغلبن) معمولاً لها ، أما إذا كان فعل القسم محذوفاً و(كتب) علي معناها .

الأصلي فإن جملة القسم المحذوفة وجوابها المذكور تكون معمولة لـ(كتب) وقد يكون فعل الكتابة وهو في اللوح المحفوظ وقع علي (لأغلبن) إذا قصد لفظها ، وقولي هذا لا أريد من ورائه إبعاد (كتب) عن معني القسم ، لأنني ما ذكرت هذه الآيات إلا للتدليل علي إجراء هذا الفعل مجري القسم موافقة لرأي صاحب إعراب القرآن المنسوب إلي الزجاج ، هذا وقد ورد (كتب) علي غير معني القسم كثيراً في القرآن الكريم مثلما جاء في الآية الثالثة من سورة الحشرفى قوله تعالى : ﴿ **وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ**﴾

---

(١) المجادلة : الآية (٢١) .

(٢) الأنعام : الآية (١٢) .

(٣) الزمخشري :الكشاف ج٤/ص٦٨.

(٤) الأنعام : الآية (٥٤) .

(٥) ابن الجزري : تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة لمحمد بن علي بن يوسف الجزري ص١٠٩، ط/دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ت/١٩٦٧. وفيه قرأ عاصم وابن عامر ويعقوب (أنه من عمل منكم فأنه غفور رحيم) بفتح الهمزتين ،وقرأ نافع وأبو جعفر بفتح الأولي فقط ، والياقوت بكسرها .

(٦) الزجاج : إعراب القرآن ج٣/ص٩٥٩ .

قضى : –

ورد قسمياً في قوله تعالي :﴿ **وَقَضَيْنَآ إِلَي بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي ٱلْكِتَابَ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلأَرْضِ مَرَّتَيْنَ وَلَتَعْلُنَ عُلُوًّا كَبِيراً**﴾[١] .

فقد جوز الزمخشري أن يجري القضاءة مجري القسم ، ولتفسدن جوابه كأنه قال : وأقسمنا، والأولي عنده أن يكون جواب قسم محذوف[٢] وهذا الفعل ورد كثيراً في القرآن الكريم ولم يجر مجري القسم إلا في هذه الآية وإن كان الزمخشري قد فضل أن يقدر فعل القسم محذوفاً.

تمت كلمة ربك :

ورد في قوله تعالي : ﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾[٣]

قال الفراء : صار قوله عزَّوجل : (تمت كلمة ربك) يميناً كما تقول : حلفي لأضربنك ، وبدا لي لأضربنك ، وكل فعل كان تأويله كتأويل بلغني، وقيل لي ، وانتهي إليّ ، فإن(اللام وإن) تصلحان فيه فتقول : قد بدا لي لأضربنك، وبدا لي أن أضربك ، فلو كان : وتمت كلمة ربك أن يملأ جهنم كان صواباً [٤] وجعل من ذلك قوله تعالي : ﴿**ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ ٱلأيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ**﴾[٥] وهو بذلك يضع قاعدة لإجراء بعض الأفعال مجري القسم وذلك إن كانت تؤول كالتأويل الذي ذكره ، وقال أبو حيان : (تمت كلمة ربك: أي نفذ قضاؤه وَحقَّ أمره ، واللام في لأملأنَّ هي التي يتلقى بها القسم أو الجملة قبلها ضمنت معنى القسم[٦] .

فالجواب المذكور إما أن يكون جواباً لقسم محذوف ، أو لـ(تمت كلمت ربك) علي إنها أجريت مجري القسم ، وكذلك الأمر في (بدا لهم) وفي قوله تعالي :﴿**وَلَكِن حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمْ**﴾[٧]

---

(١) الإسراء : الآية (٤) .

(٢) الزمخشري : الكشاف ج٢/ص٤٣٨، وانظر ابو حيان : البحر ج٦/ص٨ – ٩.

(٣) هود : الآية (١١٩) .

(٤) الفراء : معانى القران ج٢/ص٣١ .

(٥) يوسف: الآية (٣٥) .

(٦) أبو حيان: البحرج٥/ص٢٨٤ .

(٧) السجدة : الآية (١٣) .

تأذن: –

جاء في الصحاح : (آذنتك بالشيء: أعلمتكه ، وآذن وتأذن بمعني :الاعلام ، وقوله تعالي :﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾[١] أي أعلم[٢] وفي لسان العرب بمعني علم ربكم ، ويبدوا أن ما جاء في الصحاح ، هو الصحيح وقد ورد في أسلوب قسم في قوله تعالي : ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَي يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ**﴾ [٣] وقوله : ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ**﴾[٤] فقد جاء في النهر : (تأذن: أعلم، فهى من الإيذان وهو الإعلام ، وأجري مجري القسم فتلقي بما يتلقى به القسم وجوابه ليبعثن) [٥] وفي البحر، نقل أبو حيان عدة معان لتأذن أقربها لما أردناه وهو ما نقله عن عطاء إنه بمعني: حتم ، وعن الزجاج بمعني: أقسم ، وعن الزمخشري بمعني: عزم ربك) [٦] وقد ورد هذا الفعل في الآيتين السابقتين فقط وقد أجري فيها مجري القسم ، هذا ولم أجد في كتب النحو من يشير إلي ذلك ، ولعل السبب راجع إلي غفلتهم عنه أو إهمالهم إياه ، لعدم وروده للقسم في غير القرآن وقلته في القرآن واحتماله في غير القسم.

---

(١) الأعراف: الآية (١٦٧).

(٢) مادة (إذن) .

(٣) الأعراف : الآية (١٦٧) .

(٤) إبراهيم : الآية (٧) .

(٥) أبو حيان : النهر الماد من البحر لابي حيان ج٤/ص٤٢٣، ط/مكتبة ومطابع النصر الحديثة ، الرياض ، السعودية .

(٦) الكشاف : ج٤/ص٤١٣.